أربع قصائد

. سـامي مـهـدي ❖ .

المدينة الذهبية

(إلى حميد سعيد)

ضاعتْ،
وضعنا نحنُ،
وانطمستْ علاماتُ الطريقِ،
فما إليها من سبيلْ.
وكذلك النجمُ الدليلْ،
لا ضوءَ يَصْدرُ عنه يُرشِدُنا إليها،
أو يُؤمّلُنا،
ولا الحلمُ الجميلْ
يَخضَرُّ ثانيةً، ويُزهِرُ في أمانينا،
لنلتمسَ الوصولْ
يومًا إليها، أو نقولْ
للمُحبَطينَ إذا توانَوْا، أو تخلَّوْا:
ليسَ ذاكَ بمستحيلْ.

❖❖

ضاعتْ،
وقد كنّا نراها قبلَ ذلك من بعيدْ
ذهبًا يشعُّ وتستضيءُ به الحصونُ
فتنتشي فينا الوعودْ،
ونقولُ: ها هي، سوفَ نَبْلغُها،
وندخلُها دخولَ الفاتحينْ،
ونقيمُ فيها؛
فهي جنّتُنا،
ونُورثها بنينا الصالحينْ.
لكنَّها ضاعتْ..
فهل ساختْ وأسدلتِ الرمالْ
حُجُبًا عليها؟
أَمْ ضَلَلْنا نحن؟
أَمْ أنّ الخيالْ
غالى فأَوهمَنا،
ومَنّانا بما لا يُستطاعُ ولا يُنالْ؟

❖❖

سنظلُّ نَطْلبُها، وإنْ ضاعتْ،
ونبحثُ عن طريقْ
في وحشةِ الصحراءِ يحملُنا إليها،
أو عروقْ،
كانتْ لها في الأرضِ واندثرتْ،
ونسألُ مَنْ يمرُّ منَ الرعاةِ،
ومِنْ صعاليكِ القبائلِ،
نسألُ الحكماءَ والمُتألّهينْ
عنها،
وكلَّ العابرينْ،
فلعلّهم يتذكّرونْ
شيئًا يُبَصِّرنا،
ويَهدينا إلى أبوابها يومًا،
وإنْ مِنْ بعدِ حينْ،
وسنُخبرُ الأبناءَ عنها قبلَ أن نفنى،
ونُوصيهم،
فهم قد يَعثرونْ
عَرَضًا عليها، مثل عبد الله،
إنْ مُتْنا ولم نعرفْ إليها من سبيلْ.

رحلةُ التيه

كأنّكَ فارقتَنا من قرونْ
كأنّا فقدناكَ في زحمةِ العابرينْ
وضِعْنا كما ضاعَ في السوقِ طفلٌ صغيرْ.
فهلْ أنتَ ضَيَّعْتَنا أمْ أضعناكَ نحنُ؟

❖ - شاعر وناقد من العراق.

فما عدتَ تدري، ولا نحنُ ندري،

إلى أين كانَ المسيرْ.

❖❖

رأيناك في الحلمِ في لجّةٍ من غبارْ

خُطًى مثقلاتٍ،

وقلبًا كسيرًا،

وعينينِ في الأفقِ ضائعتينْ

وكفّينِ لله ضارعتينْ.

ولمّا انجَلَتْ لم نجدْكَ،

تُرى أين أنتَ؟

أهمْتَ مع الهائمينْ؟

ألم يجتذبْكَ إلينا الحنينْ؟

أمـا زلتَ تبـحثُ في المنتـأى عن طريقِ الإيابْ؟

أمِ اخترتَ هذا التخفّي وراءَ حجابِ الغيابْ

لتختمَ بالصمتِ أسطورةَ العاشقينْ؟

❖❖

يقولونَ إنَّكَ في رحلةٍ قد تطولْ

وإنَّكَ أبحـرتَ غـضـبـانَ في أفقِ المستحيلْ

لتبحثَ عن جُزُرٍ لم تجدْها،

وعن عشبةٍ جرفتْها السيولْ،

ومـا زلـتَ طيـفًـا يُهـوّمُ في مـا وراءَ البحارْ

وينفرُ من أيّما شاطئٍ أو فنارْ،

فـهـل لكَ من عـودةٍ بعـد أن طالَ هذا السِّفارْ؟

❖❖

تعـالَ فـقـد عـادَ قـبلكَ عـوليسُ والسندبادْ،

وقـد أضـجـرتْنا بما حـدّثت عنـهـمـا شهرزادْ،

ومـا زلتَ أنتَ حكـايةَ عـصـريْنِ لم تكتملْ

وأمانيَّ جيليْنِ ما برحا في انتظارْ.

تعالَ فما زالَ يجري الفراتْ

ودجلةُ تصحبُه في الطريقِ إلى الملتقى،

والحياة

تجدّدُ دورتَها في الأجنّةِ،

والأمّهات

يَلِدْنَ ويرْضعنَ أطفالهنَّ،

فمن ماتَ ماتْ،

ولكنَّ بذرتَنا تتفتّقُ في كلِّ حينْ

وتنمو وتُزْهرُ في القادمينْ،

كأنَّ الذي كانَ ما كانَ حينَ استباحَ الغزاة

نواميسَنا ونواميسَ آبائنا الأولينْ!

فلا شيءَ يوقفُ مدَّ الحياة،

ولا شـيءَ يـطـفـئُ في الـقـلـبِ نـورَ اليقينْ.

❖❖

خُطًى في طريقِ الإيابْ.

خُطًى لا يضيِّعُها الظلُّ،

أو يزدريها الضبابْ.

خُطًى ما لها أثرٌ في ترابِ الطريقْ،

ولا نزقٌ يستبدُّ بها أو عقوقْ،

تمرُّ كلمحِ البصرْ

ولكنّها ذاتُ وقعٍ كوقعِ المطرْ.

خُطًى.. ها

خُطًى.. نحنُ نسمعُها..

أو نكادُ..

فهلْ عدتَ من رحلةِ التيهِ

واجتزتَ حدَّ الخطرْ؟

المعلِّم

مرةً بعدَ أخرى أراهُ
وأفقدهُ
وأراهْ.
مرةً بعد أُخرى ألاحقُه في الفلاهْ
أو أراقبُـه حين يهـبطُ عند تخـومِ المياه.
وأقولُ : الحياه
بدأتْ من غبارٍ يجلّلُه
وخُطًى زرعتْها هنا قدماه.
وأقولُ: الصلاه
هي أن أتغنّى بأسمائه
وأجدِّد ما بيننا من عهودٍ
لنبلغَ من أمرنا منتهاه.
وغداً سوفَ أضربُ في كلِّ فجٍّ
لعلّي أصادفُه حينما يَصْعد التلَّ،
أو يتوقّفُ في الظلِّ،
أو تتلكّأ في معبرٍ أو طريقٍ خُطاه،
فأكلِّمه عن عذاباتِ روحي،
وأُصغي إلى سورةٍ قد يرتّلها،
وأعود وفي أذنيَّ صدًى من صداه.

مقاومة

سأقاومُ النسيانَ،
أَنفضُ ما تراكمَ من غبارِ الليلِ،
أبحثُ في الدواليبِ القديمةِ،
في الجرارِ،
أقلّبُ الأشياءَ،
أنثرُها وأفحصُها على مهلٍ،
وأقرأ ما تبقّى من علاماتٍ على ظهرِ الجدارِ،
وما توارى في الشقوقِ،
وقبلَ أن تنزاحَ أضواءُ النهارِ
أراجعُ الصحفَ التي نُسيتْ وراءَ البابِ،
أَكشفُ ما تخفّى في السطورِ،
وما تأرجحَ من ظلالِ القولِ فيها،
أَنبشُ الكلماتِ،
أكشطُ جلدَها حتى أرى دمَها،
وأعرفَ سرَّها،
وأقاومُ النسيانْ.